

«عبد الله عبيد» إنسانٌ حرٌ خلق ليكون فنّانا

# هدى عمار لـ«الوطن»: كان أخلاقياً مع الحرب.. ويقول علينا أن نحزن على كل سوري وعلى دمار بلدنا



سوسن صيداوي- ت، أسامة الشهابي

«علينا أن نجد الفن.. لا أن نبحت عنه» هذا سرّ فنه التشكيلي، ومن بعد رحيله، يتوجب علينا حقاً أن نبحت عنه، وخاصة أن الحرب على سوريتهما التهمت بنيرانها المسعورة كل جمال وإبداع، لأرشيف مسيرة فنية طالت لعشرات الأعوام، ولم يبق من هذه اللوحات سوى القليل، ليعبر عن أساليب الراحل عبد الله عبيد التشكيلية، الدالة على نزقه الواضح لحب الحياة بمجملها، وطبعه الحر في التعبير عن الحقيقة.

ألوانه صريحة وصادقة وحارة كما هو تعامله مع محيطه، أما جمال التكوين فيصوغه أشكالاً في أعماله محددة الخط وثابتة العبارات اللونية رغم التمازج الرائع لكل احتضان لوني حاضر في العمل. ما بقي من أعمال للفنان عبيد تعبر عن الأزمة السورية والأسى والمرارة التي أثقلت قلب فنّاننا، وجعلته غير قادر على معاينة ورؤية دمار ويلات الحرب، بعد ما أحقته بم رسمه الكائن في أحد أحياء حمص.

رحل عنا وبقي له بيننا أعمال قليلة احتضنها المركز الوطني للفنون البصرية، مع طيب ذكرى وجمال سيرة

## غياث الأخرس: الانطباع الذي تتركه أعماله يتم عن استثمارية تجاربه التي لا يمكن فصلها عن بعضها

المزمل، كي يكون مرسمه الخاص، وبقي يعمل فيه لأخر لحظة في حياته، فعضاؤه بقي حتى آخر لحظة. وفي جواب زوجة الراحل عن اطمئنان الأخير على الحركة التشكيلية أجابت: «في الحقيقة لم يكن فنّاناً مطمئناً على الحركة التشكيلية السورية، بل كان من المتقنين الدائمين لما تديره الحركة وتحتويه، باستثناء متابعتها للجيل الشاب من الفنّانين التشكيليين الذين كان معجباً جداً بأسلوبهم وابداعهم، حيث كان يراهم الأمل والنفس الجديد للحركة التشكيلية السورية».

عن انتقاء اللوحات التي احتواها المركز الوطني أشارت: «أنا أشكر المركز الوطني للفنون البصرية على قدر ما كانوا معطائين، حيث أرسلت لهم كل ما يمكنني جمعه من أعمال للفنان عبيد، كما أنني سعيت لاحتواء المعرض على المقتنيات الموجودة في منازل الأصدقاء الذين رحبوا بإدراجها بإرسال الأعمال، وتم اختيار اللوحات المعروضة بالاتفاق مع إدارة المركز مشكورة».

وفي إشارة إلى الأعمال التي أنجزها الفنان عبد الله عبيد قبل وفاته والتي تمثل الأزمة، أكدت زوجته بأنه سوري بكل معنى الكلمة، هو رجل محب بقوة لوطنه سورية، لكنه لم يكن مرتاحاً لما عانتها سورية من تدمير وتخريب خلال سنوات الأزمات، ولقد كان أخلاقياً مع الحرب، ويقول دائماً علينا أن نكون أخلاقيين برأينا حول الحرب ويجب أن نحزن على كل سوري وعلى دمار بلدنا، حتى إنه لم يستطع أن يذهب ليرى ما حصل بمرسمه من دمار شأته

شيء، والأهم كان إنساناً حراً، وخلق ليكون فنّاناً، المالك الذي يوجد به لا بد وأن يكون جميلاً، حتى إنه لا يرى أي شيء قبيح، وحتى لو كان بعض الأشخاص لديهم صفات سيئة، فهو يبحث عما فيهم من صفات حسنة وإيجابية، وعندما توفي في عام ٢٠١٧ تقاجت بكَم الحب الذي رَدَّ إليه، وبالطبع هذا ليس بغريب، لكونه قدم للجميع كماً كبيراً من الحب، وعلى فراقه ساد الحزن العميق لأنه كان رجلاً صادقاً مع الناس ويسعى دائماً لتقديم كل ما هو إيجابي من طاقات أو دعم لكل المحيطين به. عندما رحل عنا ترك فراغاً كبيراً، لقد كان جميلاً بكل شيء، وامتيازاً عن غيره بصراحته وجرأته برأيه، فيقول الحقيقة مهما كانت الحالة، هذا عدا عطفه لأخيه الإنسان سواء الإنسان السوري أم الذي يعيش في أي مكان في العالم، فهذا كان ما يميّزه عن الآخرين. أما على الصعيد الشخصي والأسري، فأبنتي أقول ويكل فخر لقد أسس عبد الله بيتاً دافئاً، سواء بزواياه وجنّاته أم بأولادنا الموجودين حالياً في سورية أو المسافرين، من خلال تربيتهم على أسس الحب والثقافة الإنسانية».

وعما احتواه المعرض من لوحات نوهت: «لقد تعرضت لمرسم الفنان التشكيلي عبد الله عبيد للحرق والتدمير في أثناء الأزمات، ولم يتبق من أعمال له سوى ما احتواها هذا المعرض، وللأسف الشديد أرشيفه كله التهمته الخيران وطاله الهلاك بأحداث الحرب على سورية، وكان قبل وفاته بمرحلة وجيزة قد هباً لنفسه ركناً صغيراً في

تعبس ذات الفنان التشكيلي عبد الله عبيد في رؤيته لأخيه الإنسان السوري بشكل خاص وفي تعامله معه، وتفاصيل أكثر حول المعرض نؤدكم بالتالي:

### غياث الأخرس

في البداية تحدث د. غياث الأخرس رئيس مجلس الإدارة في المركز الوطني عن أعمال الفنان الراحل عبد الله عبيد: «عندما نتأمل في أعمال الفنان عبد الله عبيد نرى مدى الكثافة في الأفكار والمسجلة بتقنية خاصة به، يرمز إليها بالألوان وبمواد أخرى، بجدها مناسبة في التعبير عن أفكاره وردود أفعاله تجاه المحيط الذي يعيشه، فالانطباع الذي تتركه لنا أعماله تقدم لنا بصرياً ما يتم عن إحساسه المرفق وثقافته الواعية مع عمق وجدية تجاربه التي تبدو ذات استثمارية ولا يمكن فصلها بعضها عن بعض».

### الزوجة... هدى عمار

من جانبها حدثتنا زوجة الفنان التشكيلي عبد الله عبيد هدى عمار عن جانبها الإنساني، متأثرة بلوعة وحزن مبررين، من البعد المكاني والروحي لفرق من هو بالنسبة لها أكثر من زوج وأحن من حبيب وأمتن علاقة من شريك أو صديق، فتقول: «شهادتي مجروحة بالفنان التشكيلي عبد الله عبيد ولكن ولأبني رافقته لحواني اثنين وأربعين عاماً، فهو على مدار أيامها كان الزوج والصديق وكل

شأن المنطقة وحمص، لكون الأمر أوجع قلبه كثيراً، وأحزنه بشدة، ولقد توفي حزينا لما حصل لسورية». وفي النهاية شددت على أهمية تكريم أي فنّان وضرورة الحفاظ على إرثه من الإنتاج الإبداعي، مع الرجاء بالحصول على مكان يليق بأعمال الفنّان «عبيد» المتبقية، كي يحتضنها المكان اللائق ويرعاها وتكون في الوقت نفسه متاحة للمجهر كي يتابعها، وهذا برأينا هو أقل ما يمكن، وكواجب على الجهات المعنية القيام به لتكريم مسيرة فنية ومطاءة.

### الفنانة التشكيلية هالة مهاني

على حين أدبت الفنانة التشكيلية هالة مهاني الأسى على ما حلّ بأرشيف الفنان الراحل عبد الله عبيد وقالت: «فنّاننا الراحل متميز بأساليبه المتعددة، وللأسف الشديد ما جرى لأرشيفه يعتبر مأساة حقيقية، وهي في ذات الوقت مدمرة لأي فنّان، لكون الدمار التهم الأعمال التي توالت بعلاقة عميقة مع الفنّان في فترة الإنجاز، ولكنني بالمقابل سعيدة بما شاهدت وبما من متاح من لوحات، وهنا علينا أن نتأمل كثيراً بكل لوحة، لأنها ملخص لمسيرة فنية، كما أن المركز قدم لفته جميلة بتكريمه واستحقاقها الفنان عبد الله عبيد».

### كلمة الصحافة

على حين أشار بديع صنع عضو مجلس إدارة المركز الوطني للفنون البصرية إلى أن اللوحة بالنسبة للفنان عبد الله عبيد هي ذات أكثر ما تكون موضوعاً: «لا يمكن فصل اللوحة بتأنتا عن مبدعها، فهي تجسيد لأفكاره الكون الذي يعيش فيه، مهما أتمت حدوده، بين جوانبها المتقدة بالثار وأحمره، وبين اتساع الرؤيا تجاه الوجود على اختلاف تدرجاته اللونية في النفس، فاللوحة دائماً مشغولة ليس بما تراه عين الفنّان، بل بما يفكر به أيضاً».

# ليون زكي يراهن على تشبث السوريين الأرمن بأرضهم في «تحدي البقاء»

الوله والطاعة والوفاء بزرع مورثاته فينا نحن الذين انقسمنا الشتات وجمعنا الحب والولاء للوطن الأم لكنني سأظل ما حييت وفيما لوطني سورية حتى نرسم جميعاً طريق خلاصنا مما نحن فيه وملامح المستقبل الذي نبعثه وننشده، وإن غداً لناظره قريب».

وأكد الباحث على هامش توقيع الكتاب، الذي كتب مقدمته السفير السابق لجمهورية أرمينيا في دمشق الدكتور أرتشاك بولاديان، لـ «الوطن» أن السوريين الأرمن ساهموا وبتقان واقتدار في نهضة سورية الحديثة «من خلال حرقهم المهرقة وبخولهم على خط استيراد التكنولوجيا الحديثة في المجالات المختلفة الصناعية والزراعية من الدول الأوروبية ثم سخروا رؤوس أموالهم في خدمة سورية دون تمييز بين مناطق سكنتهم والمناطق الأخرى وحققوا إنجازات يشهد لها وبصمات واضحة في ميادين عملهم».

وشدد على أن الذين هجروا منهم إلى أرمينيا وغيرها من دول الشتات تحلّل معظمهم غصة ولوعة البعد «وظلت قلوبهم متشبثة وعيونهم شاخصة نحو سورية لا يبغون عنها حولاََ مهما بلغت حجم المغريات، ورجال أعمالهم الذين لجؤوا إلى لبنان خير دليل على ذلك بعدما رفضوا استثمار أموالهم في البلد الجار الشقيق وبإغفاءات ضريبية ومناخ استثماري محفز لأن عشقهم للوطن سورية يفوق حقهم في تعويض ما خسروه في أتون آلة الحرب الطاحنة التي لم تق ولم تنز وطالت معالمهم ومستوعباتهم ومحالهم التجارية وبيوتهم وكناشهم، بالإضافة إلى عمليات القتل العمد والخطف بدافع الفدية التي دفعوا فئتها غالباً من مدهم وأرواحهم الزكية»، ولفت إلى أن أعداداً كبيرة من السوريين من أصول أرمينية رفضوا مغادرة بلادهم سورية على الرغم من الأخطار التي أهدقت بهم شأنهم شأن باقي فئات المجتمع السوري الذين أثاروا البقاء ومواجهة التحديات والصعاب «وهم سيكونون أصل العائدين إلى موطنهم بالتزامن مع أول يوم تحط فيه الحرب الطاغية، التي طال أمدها، أوزارها».



## واهم من يعتقد أننا كنا جسراً لعبور أحلام وأجندة طرف من السوريين على حساب الطرف الآخر

عن سورية الأرض والهواء والسماء والولاء والانتماء بكل الأصواع والأجزاء ومهما بلغت هويته ومتشبهون بأرضه ومتسلحون بالرجاء والمحبة حتى تجلّي الأيام السود... وأردف بقوله: «كان قدرنا نحن المسيحيين والسوريين الأرمن أن نولد في سورية، فإن العيش فيها كان خيارنا، أما اتخاذها وطناً وأبداً فيبقار من صنع إرادتنا وبكامل أهليتنا، وإذا كان قدرنا نحن الأرمن أن نستوطن سورية بحكم الظروف، فإن الإصرار على التكاثر والبقاء فيها من رشدنا مكلفين ومخيرين لا مضطرين ولا مهقورين. فلا يمكن الاستعاضة

حياتنا وأحلامنا وأشغالنا، على الرغم من أننا الحلقة الأضعف التي تعول على الإسلام الوسطي السريء مما يحدث كضمانته من شركائنا الحكماء في الأرض لاستمرار بقائنا لأنها أفضل الخيارات الممكنة لسورية موحدة عصية على التفتت».

وأضاف: «واهم من يعتقد أننا كنا جسراً لعبور أحلام وأجندة طرف من السوريين على حساب الطرف الآخر حتى خلال ماضي الحرب، لأننا منحازون لسوريتهما فقط دافعنا إلى ذلك عشقنا وتوقنا إلى السلام وسعيينا إلى البناء بدل التخريب ووقوفنا على مسافة



قرتاً ولا مهد الحضارة المسيحية التي عمرها أكثر من ٢٠ قرناً «ولكن حضارة الإنسان السوري الذي يعيش على هذه الأرض منذ آلاف السنين يشهد على ذلك وجود دمشق كأقدم عاصمة مأهولة في العالم وحلب أقدم مدينة لا زالت مأهولة في العالم».

وأوضح ليون زكي، الذي يشغل رئيس مجلس الأعمال السوري الأرميني منذ تأسيسه سنة ٢٠٠٩، أن ما أراد قوله إن تاريخ وجود السوريين الأرمن ضارب في عمق حضارة هذه البلاد ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد عندما وفدوا إلى سورية كتجار نقلوا البضائع عبر نهر الفرات إلى بابل بالعراق «ولسنا عابري سبيل أو جالية عابرة وفدت إلى البلاد بعد الإبادة الأرمنية على يد الطغمة العثمانية، بل نحن نسيج أساسي من طيف سورية الواسع والفريد عالمياً، والأهم أننا مؤمنون بسوريتهما».

ولفت إلى أنه وفق في كتابه مساهماته حول حال السوريين من أصل أرمني قبل وخلال الحرب في وسائل الإعلام السورية والعربية والأجنبية «بخصوصيتهم المتميزة ومحطاتهم المهمة ودورهم في توطيد العلاقات مع بلدنا السوري أرمينيا وما قام به مجلس الأعمال السوري الأرميني في سبيل النهوض بتلك العلاقات إلى آفاق واسعة تلبى آمال الشعبين الصديقين»، الذي وأشار إلى أنه حبل وسرد في كتابه، الذي يعد الثالث له بعد كتابي «العمل والثروة» و«الحصاد السوري»، فصول الحرب ومآسيتها «ومخاوفنا منها والدور السياسي المتميز لمشاركة السوريين الأرمن في الحياة السياسية لسورية والجدد الذي بذلته للوصول إلى اعتراف سورية رسمياً بالإبادة الأرمنية، والتي كانت في فترة من الفترات قاب قوسين أو أدنى»، مبيّناً أنه غاص في السياسة التركية الأرمينية التخريبية حيال تاجيح الإرهاب في سورية ومسعاهي المبادرات السلمية الدولية والمفاوضات لتحقيق انفراج في الأزمة، واستعرض الكاتب أمام الحضور بعض التمنّيات التي أوردتها في كتابه، فقال: «لسنا خائفين من انقراط عقدينا في وطننا سورية، وبالأخص في حلب ملاعب طفولتنا ومسرح

### الوطن

راهن الكاتب والباحث ليون زكي في كتابه الجديد «تحدي البقاء... أرمن سورية ٢٠١١-٢٠١٨» الصادر عن دار الفارابي في بيروت، على إرادة السوريين الأرمن في التشبث بأرضهم وبلدكم سورية، الذي احتضنهم ووفر لهم مقومات الحياة والرخاء، بعد أن استهدفت سنوات الحرب الجائزة والجارية حالياً مناطق سكنهم لدفعهم إلى الشتات ثانية على يد أحقاد العثمانيين الجدد الذين ارتكبوا إبادة ٢٠١٥ بحق آبائهم وأجدادهم.

ورأى زكي خلال حفل توقيع الكتاب، المكون من ١٤ فصلاً ومن ٢١١ صفحة من القطع المتوسط والمتوافر في المكتبات السورية، خلال حفل توقيع الكتاب في قاعة مطرانية الأرمن الأرثوذكس في كل من دمشق وحلب وبحضور نخبة من المثقفين ووجوه المجتمع في كل من الدينيتين أن إخفاق الأتراك في تحقيق تغريبية أرمينية جديدة مرده إلى تمسكهم بوطنهم الأم سورية «وإيماننا وتطلّعنا بضرورة إعادة إعمار ما دمته الحرب الطاغية في سورية وعليها».

واستشهد الباحث زكي في كلمة حفل توقيع الكتاب بمقولة عالم الأثار الفرنسي شارل فيرلو قارئ النصوص المسماة التي وجدت في أوغاريت بأن: «لكل إنسان متحضر في هذا العالم وطنان، وطنه الأم وسورية». وأوضح زكي أنه لم يقصد بالمقولة فقط أن سورية مهد الحضارة الإسلامية التي عمرها أكثر من ١٤